

صفحة جديدة
.....

من تاريخ الثورة الدرزية

١٨٣٤-١٨٣٨

كما تظهر في محفوظات سراي عابدين الملكية

للدكتور اسد رستم

لجلالة المغفور له ، الملك فؤاد الاول ، فضلاً على علم التاريخ وذويه
يعترف به كل من رافق النهضة العلمية في مصر في طورها الاخير .
فانه ما كاد يرتقي العرش حتى وجه عنايته الى تنشيط اعمال الجمعية
الملكية الجغرافية ، فاعانها بآله ، وعضدها بسطوته وصولته ، حتى تمكنت من
جمع تقارير قناصل الدول في مصر ، وفي بعض البلدان المجاورة لها ، في النصف
الاول من القرن التاسع عشر . ثم عهدت بنشر هذه التقارير الى بعض رجال
الاختصاص ، فظهر منها اكثر من خمسة وعشرين مجلداً . واصبحت هذه الحقة
من تاريخ القطر الشقيق غنية في مصادرها الأولية ، تفوق من هذه الناحية جميع
الحقبات في تاريخ مصر وفي تاريخ غيرها من الاقطار العربية .

وقد كانت مكتبة السراي الملكية في عابدين مهجورة في عهد بعض
اسلافه في الحكم ، فاهتم باصلاحها ، وعهد في ذلك الى صديقي المرحوم
الدكتور غريفي ، المستشرق الايطالي ، وطلب اليه ان يجعلها مكتبة تدرجية
يوثما الباحثون في تاريخ مصر . فاصبحت ، بفضل رعاية المليك الراحل وتنشيطه
وتشجيعه ، اكمل مجموعة في العالم لتاريخ مصر في عهد محمد علي باشا وبعض
احفاده . وقد وجدت فيها من الكتب الاوربية ما لم اجده في اكبر دور الكتب
في اوربة واميركة .

وقل الامر نفسه عن اوراق الحكومة المصرية في عهد والده اسماعيل ،

وجده ابراهيم ، وجده الاكبر محمد علي باشا . فاني اذكر بوضوح تام اني لما زرت مصر ، عام ١٩٢٥ ، لتشيل جامعة بيروت الاميركية في المؤتمر الدولي الجغرافي ، صعدت الى القلعة لتفقد احوال الدفترخانة المصرية . فوجدت اوراقها وسجلاتها مكدسة بعضها فوق بعض في اكياس من «الجنيفس» لا يؤتمها سوى الجرازين والثعابين . وقد اكَّد لي احد ضباط القلعة من الانكليز ، الذي قادياني الى هذه الغرفة المهجورة ، أنه لما دخلها قبل زيارتي بيومين او ثلاثة مع احد المستشرقين ، لاحظ حركة مريبة في احد اكياس الاوراق . فاسر بفتحه وما ان فتح هذا الكيس حتى انسل منه ثعبان طويل كان قد سئم المطالعة والتفتيش ، لما عاناه من المشقة للوصول الى ضائته ، ولما اعترضه من الغبار المتراكم زها . نصف قرن من الزمن .

وكان قد قبض الله لمصر ان ولي الاحكام فيها فؤاد الاول فامر بجمع هذه الاوراق وتنظيفها وتنسيقها ؛ ثم نقلها الى سراي عابدين وانشأ لها دائرة تختص بها . وهكذا فاني لما عدت بعد عشر سنوات الى هذه الاوراق نفسها لدرس اجرة الخدمة المصرية على الاقطار الشامية ، في عهد محمد علي باشا ، وجدتها مرتبة بحسن ترتيب ، سهلة المنال . وقد قام من ابنا مصر ، برعاية المليك الراحل وتنظيمه ، عدد من الموظفين «الساكنين» لدرس محتويات هذه الاوراق وتنظيمها ، وتسهيل الوصول اليها ، اخص بالذكر منهم يوسف جلاد بك ، وجورج جندي افندي . وجورج سامان افندي ، ومحمد علي عوني افندي ، وغيرهم ممن يشغل يدهم . ولا يحدث ضجيجاً لما يقوم به من الاعمال ، دأبه التنسيق والترتيب ودرس المحتويات وتسهيل اعمال الباحثين من طلاب التاريخ . هذا واني اعلم العلم اليقين انه لو اطلمت احد هؤلاء العاملين الامناء على ما ادوته عنهم الآن لا اعتراضاً عليه والحوار في عدم الاشارة اليه ، لما طبعوا عليه من التواضع وحسن الاخلاق والانصراف الى العمل الجدي . كثر الله من امثالهم بين موظفي حكومات الشرق العربي جمعا . ا



وجدت في سراي عابدين اكثر من خمسة عشر الف وثيقة ترجع الى عهد

الحكومة المصرية في الاقطار الشامية . وقد نشرت تقريراً ضافياً رفعتة الى جلالة الملك الراحل عن اسباب الحملة المصرية على بر الشام كما تظهر في هذه الاوراق . وانجزت منذ اسبوع تقريراً آخر سارفعه الى اعتاب حضرة صاحب جلالة الملك المعظم فاروق الاول عنوانه «محفوظات عابدين الملكية والثورة بقلطين عام ١٨٣٤» . وفي اثناء اقامتي في مصر ، في البام الغانت ، وجدت عدداً لا يستهان به من الاوراق السرية التي تتعلق باخبار الثورة الدرزية على ابراهيم باشا وحكومته في هذه البلاد . فاحببت ان انشر بعضها على صفحات مجلة «المشرق» ، وعلق عليها تعميماً لفائدتها، واطهاراً لبعض محتوياتها المجهولة ، ولا سيما ما يتعلق منها ببعض اسباب الثورة المشار اليها .

ويجدد بنا ، قبل ان ننشر نص هذه الاوراق السرية ان نأتي على ذكر اسباب الثورة الدرزية كما عرفها المؤرخون حتى هذه الساعة . قال صديقي المرحوم سليمان بك ابو عز الدين ، وهو آخر من عني بالثورة الدرزية ما خلاصته :

« كثير من السوريين املوا الخير من وراء قلب حملة ابراهيم باشا على بلادهم لان من مزايا حكومة محمد علي العمل على اقرار الامن في البلاد واتخاذها من الفوضى التي جعلت ارواح العباد واموالهم تحت رحمة الاقوياء والاشقياء كما ان ابراهيم باشا كان قد وعد السوريين بانه سيمفيهم من التجنيد ويخفف الضرائب ولا يكلفهم سوى دفع الاوال الامبرية . والاموال الامبرية لم تكن عبثاً ثقيلاً عليهم في عهد الحكومة الثمانية الا لما كان يرافقها من سوء المعاملة في التحصيل وابتزاز المبالغ الاضافية بمجج مختلفة . وكان ابراهيم باشا قد حقق بعض الآمال على اثر احتلال سوريا والشروع في ادارة احكامها فخفف عنهم الاثقال المالية واخذ ينشط الزراعة والتجارة . فبدأ القوم يشمرون بالطأنينة والرخاء وبالاخلاص للحكومة الجديدة غير ان زمن الغناء والرخاء لم يعطل . فقد ذكرنا في فصل سابق ان من اهم الاسباب التي حملت محمد علي باشا على الطروح الى الاستيلاء على سوريا هو رغبته بالانتفاع بما فيها من مال ورجال ولذلك لم ينتصر زمن طويل على امضاء معاهدة كوتاهية وعلى المنطة الحكيمة التي كان ابراهيم باشا قد اتجهها في ادارة البلاد السورية حتى وردت عليه اوامر والده قاضية على آمال السوريين موجبة عليهم الخضوع للسياسة المكروية والاقتصادية التي جرى عليها في الفطر المصري . فالواامر التي اصدرها محمد علي الى ولده ابراهيم باشا في اوائل سنة ١٨٣٤ اوجبت اجراء ما يلي :

١ - احتكار الحرير في البلاد السورية .

٢ - تحصيل « الفردة » اي فريضة الرؤوس من جميع الرجال على اختلاف مذاهبهم

٣ - التجنيد في البلاد الساحلية

٤ - ترع السلاح من ايدي اهل البلاد

اما الذي حمل حكومة محمد علي على التشدد في امر التجنيد في سوريا فهو ان الدولة العثمانية كانت تحشد جنودها على مقربة من حدود سوريا الشمالية بمجة مقاتلة ثوار الاكبراد فاستعدادا للطوارئ بادر محمد علي الى تقوية جيوشه في سوريا واصدر اوامره بتعميم التجنيد فيها وبتمتضي ذلك النظام طلبت حكومة دمشق من دروز حوران مائة وسبعين مجندا مع انها لم تكفيهم التجنيد في سنة ١٨٣٤ لشورما بمواجهتهم الى الرجال لدفع اعتداء العربان المحيطين بهم من كل جانب لان الدرروز انفسهم كانوا يقومون في بلادهم بما هو من واجب جنود الحكومة ورجال شرطتها فيتولون حفظ الامن في الداخل والدفاع عن حوزتهم عند وقوع اعتداء من الخارج . وحالتهم في سنة ١٨٣٢ لم تتغير عما كانت عليه في سنة ١٨٣٤ فتجنيدهم وتكليفهم الخدمة في اماكن بعيدة عن جبلهم بينا جيرانهم من عربان البادية يسرحون ويسرحون لا مبرر له من جانب الحكومة لان عدم تجنيد مائة وسبعين رجلا ليس له تأثير محسوس في قوة الجيش . فالذي يتبادر الى ذهن الباحث هو ان حكومة محمد علي اتخذت مسألة التجنيد ذريعة للتحرش بدروز حوران توصلًا الى اغراض اكثر اهمية من الحصول على مائة وسبعين مجندا . فجيل حوران واللجاة كانوا في ذلك الزمان ملجأ لكل خانف من جور الحكام او نائر على الحكومة ومعقلا يتمم به الفارون من التجنيد والمتصاصون من حمل الضرائب الثقيل حتى ان قرى عديدة في جبل الكرمل خربت في ذلك الوقت وارتقل اهلهما الى جبل حوران لينجوا من الضرائب الثيلة وشدة وطأة التجنيد وفي ذلك خسارة جسيمة على الحكومة في المال والرجال . فلذلك رأت الحكومة ان تدويخ دروز حوران يثبت قدمها في جبلهم وفي اللجاة ويمكنها من ايقاف تيار اللاجئين اليها ومن فرض التكاليف العسكرية والمالية عليهم وتمهيد السبل لنبط سلطتها على ما ورائهم من العربان .»

واليك الآن ما وجدناه في عابدين مما يتعلق بالثورة الدرزية :

اولا : محفظة ٣٥١ عابدين رقم ١٢ بتاريخ ٥ محرم سنة ١٢٥١

الامير بشير الى ابراهيم باشا

ولي النعم افندم سلطانم المعظم ادام الله تعالى دولته
غب لثم الاذيال يعرض عبد بابكم انه قبل هذا اعرضنا لدولتكم اننا
جميعنا عبيدكم اكابر الجيل الدرروز من امرا ومشايخ ووجوه واقفناهم على اوامر
دولتكم بطلب انفار للعسكرية ووزعنا اورطه ثمانية نفر على جميع المحلات
التي فيها دروز قرية قرية كما شرحنا ذلك بعرضحالتنا المتقدم وانهم توجهوا من

عندنا على انهم يبادروا لاتمام هذه الامور والذو نعرضه الان انه من بعد
توجههم بيومين ظهر بين طوائف الدرور مراسلات من مقاطعة الى مقاطعة ومن
قرية الى قرية وكلام داير بينهم انهم يسترحمون بتقديم الرجا برفع هذا المطلوب
عنه بدفع مال بدلأ عن ذلك او انهم يتعهدون ويوتقون على انفسهم بانهم
يكونوا مستعدين لخدمة دولتكم بتقديم عساكر تتوجه الي اي محل اسرتم من
دون تقصير ولا تاخير وانه اذا ما حصلت لهم الرحمة بذلك يتشتون في جميع
الاقطار ويهربون الى غير ديار وحاصل منهم مشاورات واجتماعات سرية وكلامهم
بالظاهر كما اعرضنا فهذا واقع الحال والذي نتج انهم بالرضى لا يعطوا الانفار
المطلوبة ونحن الى حد الان ما علمنا كيفية اسر دولتكم فهل انهم اذا قدموا
الرجا والاسترحام بدفع مال بدلأ عن الانفار ام اذا تعهدوا بتقديم عسكر متى
طلب منهم يقبل ذلك منهم ام لا واذا كان ذلك لا يقبل منهم وابدوا المحاولة
والماطلة هل نظهر لهم الشدة ام لا وحيث اني عبد رق لهذه الدولة السعيدة
وليس لي مقصد ولا مارب الا دوامي تحت ذيل الرضى واكون ساعياً ومجتهداً
بكلمة فيه نفوذ اسر عنايتكم تجاسرت بتقديم هذا العرض حال لكي تامروني بما
يستحسن لدى دولتكم لاسمى به وحتى اذا سرت منهم اجابهم بما يوافق
اسر سعادتكم وايد الله تعالى اركان دولتكم انقدم في ٥ م ٢٥١

بند

بشير شهاب

وقد وجدنا في المحفظة نفسها ، بتاريخ ٨ محرم من السنة نفسها ، تعليقاً
لابراهيم باشا على كلام الامير اهم ما ورد فيه ان الدرور رجال بأس ونشاط لا
يتهبون من الحرب والقتال . لكنه يخشى انه ، اذا بقيت اسلحتهم في ايديهم ،
تكون خطراً على الامن في البلاد .

وفي رسالة اخرى من ابراهيم باشا الى والده بتاريخ ٢١ محرم من السنة نفسها ،
ترى ان الباشا ارقد حنا بجري بك الى الامير بشير ليقتنه بوجوب التجنيد . واليك
نص التقرير الذي رفعه بجري بك الى دولة ولي النعم السركر المعظم
ابراهيم باشا :

ثانياً : محفظة ٢٥١ عابدين ترجمة الوثيقة $\frac{100}{21}$ بتاريخ ٦ صفر سنة ٢٥١

من : يوحنا بحري

الى : ولي النم

يعرض عبدكم ما يلي :

انه على نحو ما جاء بعريضة عبدكم السابقة المفصلة ، عندما شاهدت هذه الحالة من الدرور سألت عبدكم الأمير بشيراً عما يرتبه فيما اذا علم الدرور أن الجنود تتحرك من البقاع وببلك وما اليها ، ولم يعدوا الى التسليم فكان جوابه : لا شبهة لدي في أن موقف التذبذب الذي يقفه الآن الدرور ليس معناه أنهم يتنون العصيان وانما ذلك لمجرد تمسكهم بديانتهم ، والذي يؤيد هذا الرأي هو ما يشاهد فيهم من الخوف ، واني لأذهب في الظن الى درجة اليقين أنهم اذا ما سمعوا أن الجنود زاحقون وأنهم وصلوا الى بعض الجهات ، سيمدون الى التوسل ويعرضون تقديم كل ما يطلب منهم وعلى فرض انهم اصروا على رأيهم ، وصدر الأمر بضرهم ، فاني أسير بنفسي في طليعة الجند حيث نوذيرهم ونأخذ الرجال الذين زيد أخذهم منهم . واذا كان هؤلاء الدرور قد عجزوا عن مقاومة عساكر الوزراء السالفين الذين جمعوا من هنا وهناك كيفما اتفق فكيف يقدمون الآن على المقاومة بينا النصارى ليسوا معهم . فأجيبته : هل أنتم على يقين من أنه لا يوجد معهم أحد من النصارى ، واذا ما انضم النصارى اليهم عند الضيق أتستطيعون ابعادهم عنهم ، فرد علي بقول : عندما علمت أن الدرور يعملون للاتفاق مع النصارى كتبت الى النصارى أقول لهم : لا علاقة لكم في هذا الموضوع فاحذروا التدخل فيه ، واكدت عليهم في ذلك وهم الآن في حالهم . وحتى - من قبيل فرض المحال - لو اندمج في الدرور بعض النصارى الذين لا يعرفون قدر أنفسهم فاني استطيع ،
اقصاهم

هذا وبالنظر لما تحمته عبدكم ممن يعتمد عليهم من النصارى الذين حادثهم في خلال مدة الأيام الثلاثة أو الأربعة التي مكثت فيها ، فهت يقيناً أن

جميع النصارى عاملون بموجب تنبيه الأمير بشير وسوف لا يتدخلون في أمور الدروز ، ولا يخالفون أمر الأمير الموما اليه ، ولذا ، تقدمت الى عرض الموضوع .

عبدكم
(المتم) يوحنا بحري

ان الأمرين الخديويين الصادرين في هذا الموضوع قد أعيدا من طيّه بدون أن يطلع عليها أحد وفقاً للارادة السنية .

ثالثاً : محفظة ٢٥١ عابدين ترجمة الوثيقة رقم $\frac{100}{21}$ ٣ بتاريخ ٤ صفر سنة ٢٥١

من : يوحنا بحري
الى : ابراهيم باشا

يعرض عبدكم ما يلي :

في مساء يوم السبت الموافق السابع والعشرين من شهر محرم سنة ٢٥١ تلقيت ارادة ولي النعم المؤرخة ٢٢ محرم سنة ٢٥١ تقاضية بوجوب قيامي لمقابلة عطوفة الأمير بشير لتبليغه ارادتكم العسكرية بشأن المساكر المطلوبة من الجليل ، وتفهمه كيفية الثقة التي منحها وتلقينها . ما تقتضيه ، مع اقتناعه في ذلك ، وفقاً لما جاء بالأوامر السنية الصادرة من قبل الخديوي الأعظم ، ولما اطلع عبدكم على ما احتوته ارادتكم السامية . نمت في اليوم التالي الأحد ما كان بين يدي من الأعمال وقت في صباح يوم الاثنين من الشام ، وفي ضحى يوم الأربعاء وصلت الى بيت الدين حيث يوجد الأمير الموما اليه وعندما بلغته ارادتكم العسكرية بتمامها قام باداء الشكر على نعمة الثقة وعبوديته ودعا الى الله بدوام أيام عمر دولتكم وانتسرتن يرفق حتى آخر العمر في خدمة ولي النعم ثم قال : « من البديهي أننا ، ذو وأولادي واحفادي ، قد وقتنا انفسنا على تنفيذ واجراء منطوق أوامر مولانا ، وسنبذل الجهد في سبيل القيام بهذه الخدمة الموجبة للفخر ، واني لأرجو من لطف الباري أن يوفقني الى أداء هذه

المهمة بانعطاف قلب ولي النعم المبارك وحسن توجهاته ، ولقد اقمعت شيخ
الدروز تارة بالشدة ، وطوراً بالترغيب بوجوب تقديم أورطة مكونة من ثمانائة
رجل في الوقت الحاضر ، من الألف وخمسمائة رجل الذين طلبوا منهم بالحسنى
في المرة الأولى ، وذلك وفقاً لما استأذنه ولدي الأمير أمين من أعتاب ولي
النعم ، ولئن أظهر جهال الدرود أي رعاهم في مبدأ الامر ترددًا ان يتصلوا
بمد تمهد الشيخ ، الا اني ارى من الواجب عليّ ان اعود فاجمع شيخ العقل
لدى الدرود واقنعهم واتوسل بجميع الطرق المؤدية الى تسهيل امر هذه المهمة
عملاً بالارادة السنية ، على ان هذه المصاعب انما تعانى من جراء تعلق الدرود
بديانتهم ، لان المجزوم به ان شيوخهم وان كانوا يظهرون بمظهر المقتنع
ويتظاهرون بالامتثال الا انهم في الباطن لا يسحون لانفسهم — من الناحية
الدينية — بجمع الانفار وتقديمهم نظراً لاعتقادهم بان هولاء الانفار سيتخلون
عن ديانتهم باندماجهم بين العساكر. ولما كان من المعلوم انه لا يمكن ان يعهد الى
النصراني بالقبض على الدرزي وحيث ان هنالك بين الدرود ، عدا العوامل
الدينية ، ذاك التباعد والنفور المتأصلين في نفوس الاهالي عامة من النظام . فانهم
سيشكلون طريق المحاولة ما لم يروا الشدة والصلابة التي تحيغهم ويعمدون الى
التجمع والفرار وما الى ذلك من الحالات التي من شأنها ان تشل حركة هذه
المصلحة ، وقد سبق لي ان استأذنت من أعتاب ولي النعم ، في عريضتي التي
اقدمت على رفعها ، عما تقتضيه الارادة فيما لو ظهرت منهم مثل هذه الحالة
بسبب عدم قبول ملتسمهم ووجب الامر معاملتهم بالشدة والحسونة ان الرغبة في
اقتناع شيوخ الدرود بوجوب تقديمهم الانفار المطلوبة من تلقاء انفسهم والسعي
للحيلولة دون تدمير اهالي جبل الدرود بقوة مولانا القااهرة الباسلة وصدور
ارادته السرعية القاطعة بالاتجاه الى اخذ هولاء الانفار بالقوة والشدة ، بحكم
الاضطرار ، فيما لو تقاعد الشيخ عن تقديمهم بالحسنى ، انما منشأ مرحمته وشفته
:الاكيدة على رعيته ، وهبه الله عمراً لا يفنى . على انه ما دام هذا المنحذور الديني
قاتماً فلن يقبلوا ذلك على ما كان ما لم يكن هناك الحوف من الموت ، اما
:اذا اخيفوا وارهبوا فقد يمكن ان يقبلوا . وبعد ذلك ارجى الموضوع الى تداول

الرأي فيه ، وقد تم تداول الرأي في ذلك ثلاث مرات ونوقش الموضوع من جميع نواحيه واخيراً تقرر ان يستقدم الامير بشير كبار شيوخ العقل لدى الدرروز وان يقول لهم : ان امر هذا النظام قد اتبع في جميع العالم وقد اخذ [اي اخذ الضرائب وتجنيد المساكر وما الى ذلك] من جميع الممالك الداخلة في الحكومة المصرية ، وبما ان ترددكم في تقديم ذلك سيؤدي الى تكدر ولي النعم وحيث ان مولانا قد تفضل وامر امراً قاطعاً بوجوب اخذ الانفار المطلوبة منكم ومنحك امتيازاً لم يمنحه سواكم حيث امهل به الدرروز مدة خمسة عشر عاماً لاستخدامهم في الجندي فانكم اذا امتثلتم للامر وقدمتم من تلقاء انفسكم الانفار المطلوبة منكم تكونوا قد فزتم برضا مولانا عنكم ووقفتم الى الإقامة في اوطانكم آمنين مطمئنين بالرفاهية ، اما اذا عمدتم الى التردد وابدبتم التسرع فان قوة مولانا القاهرة معلومة لديكم اذ تؤخذ المساكر اذ ذاك من جبل الدرروز كما اخذت من جبل القدس ، ونابلس ، والنصيرين . الا انه نظراً لخدمات الدرروز السابقة قد اوفد مولانا ، حنا ، خصيصاً ، لتدبير امر اخذ المساكر المطلوبة بواسطة النصح والارشاد ومن غير ان يقع في جبل الدرروز مثل ما حدث في تلك الجبال من التأديب وخرق الحرمات . واني نظراً لمحبتى العظيمة لكم منذ القدم ، ودرغبة في وقاية الجبل من ان يكون عرضة لنيران غضب ولي النعم - معاذ الله ثم معاذ الله - قد تعهدت ببناء على تمهدكم بتقديم الانفار المطلوبة ، وقد التست في العريضة التي اقدمها الآن عفر دولة مولانا ولي النعم عن التردد والامتناع الذي بدا منكم قبلاً مع ما قتم به من تعهد . هذا ما استصوب ان يقوله الامير الموماً اليه للشيخ المذكورين على ان يطلب منهم في الوقت الحاضر انفار أورطة واحدة مكونة من ثمانائة رجل ، على نحو ما تم توزيعهم على الشيخ قبلاً وان يكتب الامير الى شيخ المقاطعات نص ما سيقال لشيخ العقل ، وقد كتبت في يوم الخميس الى شيخ العقل بوجوب حضورهم . وقدموا في يوم الجمعة والقى عليهم الامير الموماً اليه ، بحضور عبدكم ، البيان السالف الذكر فابدوا ما هنالك من اعذار دينية وقالوا : ان الدرروز يوثرون ان يفنوا جميعهم في اوطانهم على ان يتخلوا عن دينهم ، فلا يرضون الدخول في النظام . اما

اذا شاء مولانا ان يستخدم الدرور [كنفر عام] (اي كعساكر غير نظامية) فان العدد الذي يطلبه منهم بالغا ما بلغ من اية جهة كانت ، يفنون انفسهم في سبيل خدمته . فاجيبوا : لو طلب من الدرور نحو خمسة او ستة الاف رجل [كنفر عام] وارسلوا في مهمة ما الى احدى الجهات فان الذاهبين يتركون اعمالهم بينما الباقون يتكلفون مبالغ وافرة لمدهم بالزاد ، على حين ان تقديم العساكر المطلوبة الآن يزيل هذين الضررين الجسيمين ، وعدا ذلك فان الحكومة ستقدم الى الانفجار المطلوبة الرواتب والتعيينات والكساي ، وهذا من شأنه عمار الجبل واطمئنان الاهالي ورفاهيتهم ، ولذا فانكم لو قدمتم هؤلاء الانفجار لخدمتم مصالحكم . اما الاعذار الدينية فان المرء عندما يرى خطر الموت والحراب يجوز له ان لا ينظر في العذر ، فاذا ما قلمت في انفسكم : نجاب الآن على هذا الوجه ، ومن ثم ، عندما ترى ذلك الخطر نسلم فان الوقت الحالي هو وقت الخطر تماما فاذا اردتم دفع البلاء ، فافعلوا من الآن لان الندم في آخر الامر لا يجدي نفعا . اما اذ قلمت — كما يصور لكم الهمم — اذا زحفت العساكر على الجبل ، ضربنا صفحا عن محاذير الدين اذ ذلك وقدمنا الانفجار المطاوعة ، فما من احد يرضى في ذلك الحين بالاكتفاء . بمثل هذا العدد من الانفجار ، فكفروا مليا في وخامة العاقبة . وهنا وعدوا الامير بأن يجتمعوا في هذا المساء . جميع شيوخ العقل في جبل الشرف القريب منهم ويتشاوروا معهم في الامر ثم يعودوا في الصباح بالجواب الشافي ، ثم استأذنا الامير في الانصراف وانصرفوا . وفي يوم السبت عادوا الى الامير وقالوا : ان جميع شيوخ العقل ووجوه الدرور ممثلون للامر طائعون الا انه نظرا لعدم وجود رجال لدينا يصلحون لهذه المهمة [يقصد مهمة القبض على الانفجار المطاوعة] فانهم [اي الانفجار] يوثرون الموت على تسليم انفسهم ، فاجيبوا : لا يطلب منكم القبض على هؤلاء الانفجار واحضارهم ، اذ ان الحكومة هي التي ستولى امر القبض عليهم لان الرجال الذين يراد تجنيدهم في اية جهة من الجهات لا يتقدمون الى الخدمة من تلقاء انفسهم وانما جرت العادة بان يقبض عليهم من قبل الحكومة بمساعي الشيوخ ودلاتهم . ولدى سؤالهم عما اذا كانوا سيعون مثل شيخ الجهات الاخرى عندما يشرع في اخذ الانفجار المطاوعة من

الجيل ، على هذا الوجه ، فقالوا في شدة نحن نسعى ونبذل النصح ولكننا لا نستطيع ان نتكفل غير ذلك . والى هنا كان الامر قد اتضح . الا ان الامير الموما اليه اجابهم قائلاً: يا اني لو احطت الان مولانا علماً بردكم لكانت النتيجة سيئة عليكم ، وحيث انكم قد تمهدتم على انفسكم ان تسلكوا سبل الصدق والاستقامة ، فانصرفوا وانصحو الجميع ، لاني ساشرع في طلب الانفار المراد جمعها واخذها وساعرض على مولانا اني ساجمعها ، ذلك لاني ارى انه ليس ثمة من سلامة للجيل الا في اعطاء هؤلاء الانفار ، وبعد ذلك سمح لهم بالانصراف .

هذا وقد اوفد بعض الرجال لاحضار شيخ بيت تلحوق وبيت عبد الملك الذين هم شيخ المقاطعات لتداول الرأي معهم في هذا الموضوع والتنبيه عليهم بوجوب الشروع في طلب الانفار المراد جمعهم ، وفي يوم الاحد حضر هؤلاء الشيخ ، ولما اخذ الامير الموما اليه يناقشهم في الموضوع ، بحضور عبدكم ابانوا صعوبة الامر - كشيخ العقل - من جراء تشتت الدروز في الجبال ، وعدم بيتوتهم في منازلهم منذ ان علموا بموضوع هذا [النظام] الا انهم قالوا : نحن عبيد مولانا وتتعهد بان نخدمه بارواحنا واجسامنا ، الا ان القبض على هؤلاء الانفار امر لا طاقة لنا به ، ذلك لان النفور من هذا المشروع قد شمل الجميع اذ انه ليس من المعلوم من هم الانفار الذين سيجدون ومن هم الذين سيقون ، حتى ان اتباعنا انفسهم قد انضموا الى النافرين فبسن والحالة هذه نستطيع ان نقبض على الرجال الذين تقلدوا سلاحهم ونفروا الى الجبال . ولما ابدوا هذه الاعتذارات ، اجيبوا ان هذه الاعتذار لا تقبل منكم ، لانه في استطاعة كل رجل منكم ان يقدم بضعة انفار ممن ربيتسوهم ، كما يمكنكم تقديمهم بارضائهم بالمال واذا ما عمد بقية الشيخ الى مثل هذه الطريقة تكون السبل قد مهدت لجميع الانفار المطلوبة وهان الامر ، وما دمتم تقولون ان جميع الدروز قد نفروا من هذا الامر وكل منهم يقول سيجدونني ، وذلك نظراً لعدم معرفة الانفار المطلوبة ، فعلى كل منكم ان ينظم كشفاً باسماء الانفار المطلوبة من مقاطعته وبن يعلن اهالي المقاطعة بما يحويه هذا الكشف من الاسماء ، حتى يزول الالتباس . ومن البدهة انكم اذا فعلتم ذلك اطمان غير المطلوبين وانفرطت جموع النافرين

بطبيعة الحال حيث يتسنى لكم اذ ذاك القبض على الاشخاص الذين دونتم اسميهم واحضارهم بسهولة. ولما اقمتموا بهذا القول اجابوا: سنستعمل هذه الطرق الثلاث ونبذل الجهد في سبيل هذه المهمة فاذا لم نوفق فيها ، قدمنا انفسنا واولادنا الى اعتاب ولي النعم ، واذا ما طلبنا للنظام قبلنا حتى لا نلام. وفي نهاية مناقشتهم في هذا الموضوع تقرر الشروع في العمل على هذا المنوال ، وعلى الرغم من انه يكاد ان لا يكون ثمة فائدة من هذه الخطط ، نظراً لما شوهد من مواقف الدروز ، فقد استصوب ربط الموضوع بنحيط من قطن ، في الوقت الحاضر — على امل انهم قد يقومون بعمل — ومرار الوقت على هذا النحو ، ريثما يرد اسر ولي النعم ، والمفهوم بالنظر لاقوال عبدكم الامير الموما اليه ولما ابداه الدروز من المحاذير الدينية وما شوهد من اوضاعهم انهم لا يقدمون عساكر بالاتفاق الرودي ، ولكنهم عندما يرون شح البطش والدمار ماثلاً امامهم يجوز لهم في ديانتهم ان لا يراعوا المحاذير الدينية فيجوز والحالة هذه ان يقدموا الانفجار المطلوبة ، بمجرد ان يروا حركات الجنود من بعيد ، اي في بعلبك والبقاع لان الحرف المشاهد فيهم منذ الان جد شديد ، ولاحاطة علم دولتكم قد اقدمت على عرض الموضوع بالتفصيل ، والامر والارادة لحضرة من له الامر

البد

(المتم) بوخنا بحري

راباً : مخطئة ٢٥١ عابدين ترجمة انونينة $\frac{100}{21}$ بتاريخ ١٠ صفر سنة ٢٥١

من : ابراهيم

ان : صاحب الرحمة ولي نعمتي الخ

سيدي صاحب الرحمة ولي نعمتي الذي لا يتن

كنت قد عرضت على اعبابكم العلية انني ، وفقاً لارادتكم قد كتبت الى عبدكم حنا بك بصدد قيامه الى حيث يوجد الامير بشير ، وقد توجه حنا بك اليه حيث ارسل الى عبدكم خطابين في موضوع الحديث الذي افضى به الى

الإمير كما بعث الى الامير بشير خطاباً في هذا المعنى ، وقد قدمت هذه الخطابات الى اعتابكم من طي عريضتي، ومتى اطلع ولي النعم عليها وقف على كنه الامر، اني على صغر شأني اود ان استوضح مولاي بعض الامور : اكانت فكرة عدم جمع السلاح من جبل الدررز قائمة على ان الدررز لا يعبدون الى الحيانة اذا دعت الحاجة وانهم يخدمون مصالحنا ، ام هي لان جبل الدررز له شهرته منذ القدم فاردتم ان يظل على شهرته ، وان يحتفظ بسلاحه . فاذا كانت هذه الفكرة مبنية على ان الدررز يخدمون مصالحنا فانه لمن البدهة ان اهالي الجبل، الدررز منهم والنصارى، اكثر الناس خبثاً وسيظهر خبثهم هذا بمجرد ان نطلب منهم المدد، فاذا ما قيل انهم قد يعبدون الان الى العصيان فانهم لا يستطيعون ان يفعلوا اي شي. واذا فعلوا لا تتعدى افعالهم ما جا. بخطاب حنا بك. اما اذا كانت الفكرة منصرفه الى ان يحتفظ الجبل بشهرته ، فلا ينبغي ان يعتمد على مثل هذه الشهرة الكاذبة ، وان يفرط في القبض على ناصية الخالة فانه لمن الامور المعلومة لدى ولي النعم انه يجب معالجة الامر حسباً تقتضيه الظروف المشاهدة ، وعلى كل حال ، فان عبدكم جد قلق من جراء عدم وقوفي على حكمة عدم جمع السلاح من الجبل المذكور فتفضلوا ونجوني من هذا القلق ، والامر والارادة لمولاي

من انطاكية (اختر) سلام على
ابراهيم

وهناك رسالة من الامير بشير الى مجري بك ، بتاريخ ١٢ صفر من السنة نفسها ، تربينا نموذجاً من اساليب الامير في ميدان السياسة المحلية ، واليك نصها :

خامساً : محفظة ٣٥١ عابدين رقم ١٠٦ بتاريخ ١٣ صفر سنة ١٢٥١

غيب الامنية والاشواق انه لا تقدر نشرح كيفية ما احابنا من الوحشة بعد فراق كركب انكم نأل كرمه تعالى ان ين بانلقا على احسن حال . ثم انه بعد توجه الجناب بالسلامة والامان بجمعة اربعة ايام حررنا للشايخ بيت تلحوق وبيت عبد الملك سراً او استهماً ٤٤ امروا به وكيف جرى الحال ونحتمهم

ومحرضهم على فتح الباب بهذه الأمورية فورد من المذكورين الجوابات وهي
 واصله ضمن نيقة الوداد لكي بطالمتها يصير معلوم الجنب فحواها واما عامة
 الدرور فحالهم كما فارتسوه لا زاد ولا نقص وكلامهم لم يزل مثل الاول
 ولاجل افادة الجنب بذلك اقتضى ترقيم الوكة الوداد راجين الافادة بما يحسن
 لدى رايبكم ودام بقاءكم

١٢ ص سنة ٢٥١

عجكم

بشير شهاب

اما فعوى الاجوبة التي وردت على الامير من بني تلحوق وبني عبد الملك
 فانها ما يلي، واللفظ للشيخ حسين تلحوق والشيخ حمد تلحوق : « كما لا يغرب
 شريف علم سعادتكم شراسة الاطباخ وطف البصيرة الذي تم معهم الان ان
 جميعهم طابعين الى امر ساداتكم العالي مقدمين ذواتهم لكلاما يصدر به امركم
 غير ان مترجين مراحكم ان لا يكونوا بداية لسبب امر الديانة فقط »^{١)}
 وبما لا بد من الاشارة اليه بهذه المناسبة ما ورد من ابراهيم باشا الى سامي بك،
 احد كبار الموظفين في مصر، بتاريخ ٨ جمادى الاولى سنة ١٢٥١ اذ يقول: «مع
 انه محتمل ان تكون القوى التركية التي ارسلت الى الحدود السورية بقيادة
 محمد رشيد باشا قد اوفدت لتحريض الدرور فاني اعتقد ان القصد الرئيسي من
 ارسالها هو تعزيز السلطة في تلك الجهات لاجل اخماد الثورة الكردية.»
 ثم يتبع هذا التقرير كلام لمحمد شريف باشا، حاكمدار الايلات السورية
 جمعا، مؤرخ في ٩ جمادى الاولى من السنة التالية، نشره بكامله لعلاقته
 بالثورة الدرزية. ولعله ارسل الى سامي بك الوارد ذكره آنفاً. ونشر بعده رسالة
 للامير في الموضوع نفسه

سادساً : محفظة ٢٥٣ عابدين رقم ١٦٦ بتاريخ ٩ جاسنة ١٢٥٢

حضرة عزيزي الاخ السامي المهم العالي الشيم صاحب العناية والعاطفة

والمروة

بلغ مسامع جناب الحديري ان بعضاً من طائفة الدرور ارتدوا عن دينهم

« تنصروا » ولكن لم يعلم صحة هذا الخبر او عدم صحته على انه ان كان صحيحاً فان ضرره على الدين والملك امر مسلم فيلزم قبل كل شي. النظر في الحيلولة دون وقوعه وعليه فقد ورد لي امر شريف خديوي بتاريخ ٣ ربيع الثاني سنة ١٢٥٢ بان اكتب من طرفي لحضرة الامير بشير ليحقق هذه المسألة خفية ويعرض نتيجة تحقيقه فبالحال كتبت الى حضرة المير المومي اليه استعلم منه عن مدى صحة ذلك فجاء منه الجواب عريياً مفصلاً وها هو مرسل لطرفكم العالي ضمن كتابنا هذا وبوصوله ان شاء الله تعالى تعرضونه على اعتبار جناب الخديوي وهذا ما هو منحنى من حسن همتكم ولطف مروركم

من اللاذقية (المتم) محمد شريف

سابقاً : مخطوطة ٢٥٣ عابدين رقم ١٦٦ بتاريخ ٢٥ ربيع الثاني ١٢٥٢

علي المهتم انقدم سلطانم المفخم ادام الله تعالى دولته
غيب لثم الراحات الكريمة تعرض انه بايمن طالع تشرفنا بورود المرسوم
الكريم المشير فعواه الرسيم ان دولتكم تشرفتم بورود امر عالي خديوي يشير
فعواه العالي الخطير انه بلغ تلك المسمع الشريفة ان بعض طائفة الدرروز الذين
في الجبل صاروا مرتدين اي صاروا عيسويين وصادر امر دولته السامي ان
تتصروا من بعدكم هذا خفية عن ذلك لاجل اعراض ما تحمقه لهاتيك السدة
العالية فقد صار ذلك قرين الاذعان فاما حقيقة هذه القضية هو انه كان بعض
الاشخاص وقليل جداً جداً اراد التداخل بالطريقة العيسوية فآظهرنا التبيه
والتشديد الكلي وابدينا كمال التهديد بالسطره الخديويه العليه فانقطع هذا
المبدى وخذت نار هذه الشهرة لكن كما لا يغرب عن النيره الشفافه انه موجود
في الجبل طايغة امرا يقال لهم بيت ابي اللسع فهذه الطايغه في الزمن القديم كانوا
دروز وتداخلوا في الطريقة العيسويه رويداً رويداً الى ان صاروا جميعهم عيسويين
وذلك من مدة اربعين خمسين سنة ولم يبق منهم على طريقة الدرروز احد الى
عصرنا هذا سوى الامير احمد قايد ييه المقيم في قرية برمانا واولاد الامير نصر
مراد القيسين في المتين وهم الامير سلمان والامير موسى والامير يوسف فالامير

احمد لم يزل باقياً على طريقة الدروز واما اولاد الامير نصر الثالث المذكورون كانوا بهذا الوقت ارادوا الدخول بالطريقة العيسويه لكنهم لما سمعوا بالتهديد والتشديد الذي حصل من عبدكم تركوا ما كانوا عزموا عليه والان حينما صدر امر دولتكم بالفحص عن هذه القضية فحصنا ودققنا وحققنا فوجدنا ان الامرا الثلاثة اولاد الامير نصر المذكورين قد دخلوا في الطريقة العيسويه سرّاً ولم يزالوا مصرين عليها وغيرهم من طائفة الدروز لم يدخل منهم احد في العيسويه لا سرّاً ولا جهراً لا من الاكابر ولا من الاصاغر فهذا ما تحققتنا واكدناه من حال هذه القضية اعرضناه جلياً والامر لولي الامر وادام الله تعالى دولتكم

في ٢٥ ر سنة ٢٥٢

بنده

بشير شهاب

يتضح اذاً مما تقدم ان الدروز لم يستنموا عن الخدمة العسكرية الاجبارية خوفاً من الحرب او لقلّة شجاعتهم. وان الحكومة المصرية في ذلك الوقت ، وان شكّت في نيات الاستانة ، فانها لم تلس حقيقة راهنة تستنج منها ان السبب في قيام الدروز هو تجريض الباب العالي . ثم يظهر من كلام الامير ، وتقارير مجري بك ومحمد شريف باشا واشارة الشيخ حسين تلحوق والشيخ حمد تلحوق، ان امر الديانة كان من الاسباب الرئيسية لتعتت الدروز في امر الخدمة العسكرية . ذلك ان عقلاهم وشيوخهم رأوا في التجنيد الاجباري واختلاط «جهالهم» مع غيرهم من الشبان من سائر الفرق والاديان ، رأوا في ذلك ، بحق او بغير حق ، خطراً على دينهم السري قد يودي مع مرور الزمن الى ضعف في العقيدة وفتور في الدين



وفي الختام لا بد لنا من رفع آيات الشكر الى حضرة صاحب الجلالة الملك فاروق الاول لمتابعتة سياسة والده العظيم في تنشيط العلم وتشجيع الابحاث التاريخية .